الروائي الجزائري بشير مفتي:

جيل طاهر وطار ورشيد بوجدرة في وادٍ ونحن في آخر!

الجزائر ـ «القدس العربي»:

صدر للروائي الجزائري في بداية هذا الموسم روايته الخامسة «أشجار القيامة» عن منشورات الاختلاف الجزائرية والدار العربية للعلوم البيروتية وبالتزامن مع ذلك صدرت له الطبعة الشامية لرواية «بخور السراب» عن «دار الحوار» باللاذقية، وقد عرف بشير مفتي منذ بداية تسعينيات القرن الماضي قاصا ثم روائيا، وهو يشغل حاليا منصب أمين عام رابطة كتّاب الاختلاف الجزائرية.

للحديث عن تجربته انطلاقا من الإصدارات الأخيرة كان لنا معه الحديث التالي:

■ القارئ لروايتك الأخيرة «أشجار القيامة» يحاصر بالأسئلة منذ البداية، لكنه لا يظفر بجواب، هل «أشجار القيامة» هي رواية أسئلة؟

■ **تعودنا في الرواية التقليدية، والنيو ـ تقليدية المغلفة بموضة الحداثة على شكل معين من الأدب، وصيغة محددة في الكتابة الحكائية، وعلى رؤية فوقية، بمعنى أن الكاتب يملك حقيقة ويعمل على توصيلها للقارئ، وخلقنا قارئا نمطيا، يقرأ بالأبيض والأسود، ويكره الألوان الأخرى، قارئا مع أو ضد، ليس قارئا يشارك الشخصيات محنتها ومأزقها، أو حبورها وأفراحها، قارئا سلبيا، قد تهمه، أكثر من أي شيء آخر، إيجابية القصة، ورسالتها النبيلة، ومواقفها الجليلة إلى غير ذلك، قارئا ينتظر أجوبة على مشاغله، والحق أن هذا النمط فقد معناه، وإذا كان للأدب من دور أو وظيفة فليس أن يجيب ولكن أن يسأل، وعندما نقرأ رواية «القضية» لكافكا فنحن لن نعرف سبب الجريمة التي حكم بها على بطل الرواية بالإعدام عليها، ومات كالكلب، ستنتهي الرواية ويبقى السؤال معلقا للأبد، ويبقى النص حيا بهذا السؤال للأبد. النصوص التي تجيب وتشرح وتقدم حلولا للمشاكل هي في نظري النصوص العقيمة التي تحكم على نفسها بالموت، والانتهاء في مرحلتها، أما الأسئلة فهي الخالدة ومثلما يستطيع أن يخاطبني سوفوكل أو أوفيد أو المعري وابن عربي أو غيرهم من المبدعين في كل عصر ومكان فأنا أريد بكل تواضع أن أخاطب غيري، وأن أتجاوز سياق تغيب على الكثير من القراء. بورخس يرشدنا إلى هذه المتاهات و«كتاب الرمل» من تلك النصوص المحببة لنفسي، والنماذج المدللة على هذا التيار أو الموقف.**

■ بعيدا عن «أشجار القيامة» كيف تقرأ المشهد الروائي الجزائري في تحولاته؟

■ **هناك من يجتهد ويحاول أن يقدم نصا جديدا، ويسعى لأن تكون له بصمته الخاصة، وهناك من يكرر غيره، ويستنسخ تجارب من هنا وهناك، والبعض يستعير من الرواية الأجنبية نماذج ويسقطها بدون توع بالعملية الإبداعية، ولا أخفي عليك أن الجيد قليل ونادر، وربما هناك نقص في تكوين الكتاب أنفسهم، أغلبهم لا يقرؤون تجارب الآخر في العالم العربي أو الغربي، والسياق الثقافي والاجتماعي لا يسمح بتطوير الأدوات وتأسيس المرجعيات وتحقيق النقلة المرجوة.**

بالنسبة للأجيال السابقة فهي لا تزال تكتب، وهي موجودة بماضيها كذلك، ولا احد ينكر أهمية بوجدرة أو وطار فيما سبق، ولكن أظن بأن هناك قطيعة بين الأجيال، لا يوجد أي خط يربط الطرفين، هم في واد ونحن في واد آخر، وهذا أحسن، وأفضل الآن بدل التكلم عن الأجيال التكلم عن الأفراد، والمشاريع الفردية، أو هذا ما صار يثير تفكيري الآن، فالأدب ليس له علاقة بالجماعة، ولكن بقدرة الفرد/ الكاتب على الاستمرارية أم لا، ومن يركب اليوم موجة الجيل أغلبهم يبحثون عن الحماية، أو الوصول بغير إبداع حقيقي.

■ في كتابه الأخير «إزاحات فكرية» نشر الباحث الجزائري محمد شوقي الزين مقالا لك تناقش فيه مسألة نهاية المثقف. ما اعتراضك على الفكرة؟

■ **النقاش الذي دار بيني وبين صديقي شوقي الزين كان في جريدة «اليوم» وشارك فيه مجموعة من الكتاب والأصدقاء، وإدماج مقالي في كتابه دليل على انفتاحه وسعة صدره، ودليل أيضا على أن مثل تلك النقاشات الهامة التي جرت على الهامش من المشهد كانت مهمة للغاية، وهي تعبر عن مستوى التحاور وقيمته، وأنا نظرت للمسألة ليس من زاوية نضالية، ولكن من زاوية سياقية، بمعنى أن بيئتنا تفرض علينا شئنا أم أبينا، إلى جانب الحرص على المعرفة، وضرورة التفوق في اختصاصاتنا الفكرية أو الثقافية العمل على مستوى الواقع، وضرب المثل، وهذه الفكرة هي التي قالها لنا هشام شرابي عندما زار الجزائر وهي ما قيمة أي أستاذ جامعي عندما يبقى مجرد معلم وملقن في جامعته؟ إن لم يكن له فعالية واقعية، كأن ينشئ نوادي، أو يؤسس حلقات تفكير، أو يكتب مقالات ويشارك ويجهر بآرائه.. وهذا ما نفتقده اليوم بشكل مأساوي، أي أن المثقف عندنا يختفي وراء اختصاصه، ويتقوقع في معرفته الفوقية، ويريد أن يعيش لذته الفكرية خارج العالم، المثقف الغربي يعيش ذلك بالفعل، لان سياقه يسمح له بذلك، أما نحن، فأي تعال هو هروب من المواجهة الحقيقية، والنضال المشرف.**

■ نعود إلى الرواية من جديد، ما دلالة عنوانك الأخير «أشجار القيامة»؟

■ **لقد وضعته في الأخير عندما انتهيت من النسخة الأولى من الرواية، أو في شكلها الأول، وأنا أعيد قراءة ما كتبت، وجدت أن أشجار القيامة تكررت عدة مرات، بدلالات مختلفة، وربما بتأويلات متعددة، هناك صديق كان يهددني مازحا بأن العنوان مسروق فأخبرته مازحا أنا أيضا بأنني سرقت الأشجار من الطبيعة، والقيامة من القرآن الكريم، أظن بأن العنوان تختصره جملة رددتها زهرة في آخر اعترافاتها «كنت الشاهدة الأخيرة على تلك الأشجار التي صمدت طويلا أمام ريح القيامة» صحيح أن الأشجار احترقت في النهاية، لكن أثر المواجهة بقي، وصمد، الرواية صمدت والحمد لله.**

■ صدرت الطبعة الشامية من «بخور السراب» في دار الحوار بسورية هل تلقيت بنفس الطريقة التي كانت مع الطبعة الجزائرية قبل ذلك؟

■ **تلقيتها بفرح، مثلما نتلقى خبر مولود جديد، صحيح أنها صدرت في نفس الوقت مع روايتي الجديدة «أشجار القيامة» والتي طبعت في لبنان**

بشير مفتي (القدس العربي)

هي الأخرى، بمعنى أن الروايتين صدرتا في المشرق، وبالتالي غطت فرحة المولود الجديد على القديم، ولكن مع ذلك كنت سعيدا بالكتابين معا، أعتقد بأن «بخور السراب» ستجد قراء مختلفين الآن عن قرائي الجزائريين، وهذا يسعدني ويؤكد لي أن طريق الأدب بالرغم من قساوته وآله وصعوبته، يمكن للكاتب أن يكافأ على جديته واجتهاده بأشياء رمزية من هذا القبيل.

وهي أغلى بكثير من تلك الماديات التي يتنافس فيها المتنافسون اليوم، صحيح أن المسؤولية ستكبر مع الوقت، بمعنى أنني سأزيد من قسوتي على نفسي وكتاباتي من أجل تحقيق ما أصبو إليه، وما ينتظره مني الكثير من الأصدقاء الكتاب المحترمين اليوم، والذين بفضل دعمهم وإيمانهم بي يغمرونني بالحماس والتحدي، ويدفعونني للمواصلة، وهم يدركون أنه لا بد أن تكون هناك أسماء من الجيل الجديد تحتل مكانة محترمة، بالمقارنة مع من سبقونا، وأيضا، كان يضايقني أن أترجم إلى الفرنسية، وتصدر لي روايتان مترجمتان في فرنسا، ولا أنشر أي كتاب في المشرق العربي، ولكن تجربة الترجمة للفرنسية ساعدتني على التوعي بقيمة الكتابة في حد ذاتها، والتعرف على بعض الأسماء الأدبية المهمة، وأحيانا أعترف بأن الغرب هو طريق المجد الأدبي الحقيقي، دون خيانة للذات، أو تضخم في الأنا.

التقاه: الخير شوار

باسم النبريص: الهديّة وصلت

رشاد أبوشاور

لو كان في فمي اختياري
لاخترت صوت البرق
لكنّ زوجتي وابنتي وجاري
لكنّ هذا الشرق...

■ من إذاعة فلسطين في القاهرة، اعتدنا سماع برقيات مشفّرة، موجّهة (لخلايا) الفدائيين في الضفة، والقطاع، تبدأ: من (...) إلى (...)، نعلمكم أن البرتقال في الطريق إليكم...

كنّا نحن أبناء الجيل المنكوب بحزيران (يونيو) 67 ـ كأنما لم تكفنا نكبة 48 ـ نخفف أوجاعنا، وقهرنا، بتفسير كلّ كلمة في تلك البرقيّات، ونتوقّع حدوث عمليّات، وانفجارات، تعوّضنا عن مهانة الهزيمة، وتفتح باباً للأمل في الزمن الفدائي...

من تلك البرقيّات التي كنّا نسمعها تتردّد: من (...) ـ وطبعاً يتمّ ذكر اسم معيّن ـ و..الهديّة وصلت.

والذي وصل بالتأكيد إمّا (قنابل)، أو بنادق، أو بعض المال لشراء ما يلزم!.

صديقي الذي لا أعرفه، الشاعر باسم النبريص، الغزّي، من خان يونس المدينة الفلسطينيّة العريقة، جارة البحر، التي كما هو شأن كثير من المدن الفلسطينيّة وقعت فيها مذبحة مروّعة ـ وصفها ربعي المدهون في كتابه (طعم الفراق)، والسيّدة مروة جبر في كتابها (نداء السنونو) ـ والذي بدأت معرفتي به منذ قرأت له أوّل مقطوعات شعريّة فلفت انتباهي جداً، ودفعني للسؤال عنه، وطلب ما صدر له.

أرسل لي باسم أعماله الشعريّة والتي ضمّها كتاب واحد بعنوان (الأعمال الشعريّة)، وهي طبعاً ليست أعماله الشعريّة الكاملة، فهو ما زال شاباً ونوافذ عمره مفتوحة على فضاءات شعريّة لا تكبحها قذائف الدبابات، والحصار، ودويّ الآباتشي، وضيق العيش.

في معبر رفح بين مصر وفلسطين، تحديداً بين قطاع غزّة ومصر، التقى أفراد من أسرتي بالشاعر باسم النبريص، وكان (يعبر) إلى مصر للالتقاء بشقيقه الذي لم يره منذ سنوات، حيث كان لسنوات غير مسموح له بدخول مصر إلى أن حصل على إذن بالسماح له بدخول مصر، وزيارة القاهرة، والتجوّل في شوارعها، وحمل بعض الكتب و..العودة إلى القطاع لاستئناف حياته مع أهله في جحيم القصف، والحواجز، والصواريخ التي توجه بتكنولوجيا متطوّرة لتبيد ما أمكن من الفلسطينيين، وتهدم بيوتهم فوق رؤوسهم.

أرسل لي الشاعر أعماله الشعريّة بإهداء اعتزّ به، وأحتفظ به لنفسي، مع ملاحظة لا تحتاج لتفسير: معبر رفح البرّي، بالصدفة...

بالصدفة كان هناك أفراد من أسرتي، فأرسل لي الشاعر كتابه الذي لا يعرض في واجهات المكتبات في المدن العربيّة.

لولا الصدفة لما اطّلعت على أعمال باسم النبريص الشعريّة، لأن ما يكتبه الفلسطينيّون في الضفّة والقطاع لا يصل بسبب الحدود، والرقابات، ولعدم وجود وسيلة جديّة عمليّة لتجاوز هذه الموانع، تستند إلى عمل جماعي مبدع، ومخطط له.

باسم النبريص شاعر القصيدة المركزّة ـ ولا أقول القصيرة حتى لا يبدو أنها قصيدة تعاني من تشوّه خلقي ـ المقطرّة، الأنيقة، بينه وبين الشاعر محمّد لافي (قرابة) شعريّة، وإن كانا يعيشان في مكانين متباعدين، ولم يلتقيا من قبل، وقصيدتهما تختلف بحكم التجربة...

بعد جيل القيسي، دحبور، المناصرة، فوّاز عيد ـ خالد أبوخالد حالة خاصّة ـ مريد البرغوثي، كان صعباً بروز شعراء يضيفون جديداً للشعر الفلسطيني.

ولكن الإبداع لا ينضب، ولا تحول دون تفجّر ينابيعه، معوّقات مهما كانت، والشاعر الأصيل كالجواد الجموح يقفز فوق الحواجز وينطلق في البراري، فترى إلى تجلياته، وإيقاعات ركضه في براريه، وتكويناته الشكليّة والروحيّة، وجمالياته التي تنعش الروح، وتحبّب بالحياة، وتجعل النفس تشفّ وكأنها في الحضرة...

شعراء كثيرون ظهروا بعد ذلك الجيل الذي عاش تجربة المقاومة، والثورة، والنفي، وعايش تطوّر القصيدة العربيّة، وشارك في صنع حضورها...

يمكن القول إن باسم النبريص ينتمي للجيل الشعري الثالث، بعد الجيل الأول: جيل هارون هاشم رشيد، ومعين بسيسو، ويوسف الخطيب، فدوى طوقان، كمال ناصر، والجيل الثاني جيل شعراء زمن الثورة والمقاومة... مثل محمّد لافي ـ ومريد البرغوثي من الجيل السابق، في واحدة من مراحله الشعريّة ـ اشتغل باسم النبريص على القصيدة المكثّفة، المركزّة، المشحونة، المكتنزة بغنائيّة تمتح شجنها من التجربة المعاشة، وإن اختلف الشاعران من حيث التجربة، فباسم في غزّة، ومحمد لافي تنقّل بين عمّان، وبيروت، ودمشق، واحد تحت الاحتلال، والآخر في معمعان الثورة وما حاق بها...

لا ينتمي النبريص للمدرسة الشعرية الفلسطينيّة التي ازدهرت في زمن المقاومة، وعبّرت عنها بشعر تفاعل مع حركة الشعر (الحرّ) ـ وهو ما اصطلح على تسميته بشعر التفعيلة ـ وقصيدة النثر، وردفها بدم جديد...

شاعر محاصر مع أهله في قطاع غزّة، أقام في القاهرة لفترة محدودة، لم ير العالم عن كثب، اللهم سوى عبر شاشات التلفزيون، وما يقرأه في المجلاّت والصحف، يتأمل هذه الدنيا من المكان الضيّق (قطاع غزّة)، ومع الوقت تصير قصيدته مثل مكانه: صغيرة حجماً، متفجّرة، فسيحة بما تحويه من رؤية إنسانيّة عميقة ورحبة.

يتأمل باسم النبريص بحراً يصادره المحتلّون، ويقطعون طرقاً تصل الفلسطينيين ببعضهم، ويحولّونها مصائد موت، فيضطرّ الفلسطينيّون الى أن يسلكوا مسارب مرهقة بجوار البحر، سيراً على الأقدام، ساخرين غاضبين، لاعنين، مؤمنين بان هذا الحال لا يجب أن يدوم، وأنهم بصبرهم، وفعلهم، يكبرون على شروط حياة بائسة فيزفر موجوعاً:

تكشف نهديها البيتين: ندى، وتنوح
تنشج في الريح
تدعو غفّار ذنوب البشر الخطائين
منّاح الصبر الطيّب والنسيان العذب
أن ينصر هذا الشعب
أو يسخط هذا الشعب
فلقد ملّ القلب

ولقد شاخ القلب!...
(ندى ص174)

من يحتكّ بالفلسطينيين، سيسمعهم يرددون عبارات مثل: لجهنم في هكذا عيشة، ربنا سخطنا فوق ما كنّا مسخوطين، ناهيك عن الأمثال: قال يا سعدان بدّي أسخطك، قال: سعدان و(ط...) حمرا!

والشاعر في قصائده المشفّرة، وسهلة الحلّ والتلقّي، يذيب آهات، وأوجاع شعبه، وغضب شعبه، ونزق شعبه، وقوّة روح شعبه وصبره، في دفقات شعريّة يطرزّها بأناة:

أيها البرق تكلّم
لغةً
غير أن تلمع في الليل الخداج
أيها البحر تحرّ صفةً
بين شطّيك سوى الملح الأجاج!
أيها الأرض
استطيلي واعرضي
قبل أن نعرض عنك
...أيا خمّ الدجاج!

في صوت باسم غضب هو بغضب شعبه، رفض لشروط حياة يفرضها الغزاة:

لست من طينة آدم
إنني نار ومن نار أتيت
فلماذا أتحرّى مثلكم زوجاً وبيت
ولماذا أتفاهم
بل لماذا لا أخاصم
بشراً،
وهم اللعنة في مطلق وقت!
(قصيدة نار ص55)

المعاناة مركزّة في قصيدة بحجم سلاميّة إصبع:

أصيخ سمعي،
أطبق الهدبين:
خرير ماء في السحب
ودبّة النملة
ألقطها ما بين طلقتين!

المشكلة في هذا الشعر أنه لا يشرح، لا يفسّر، لا يعلّق عليه، لأنه يفسد بأي كلام حتى لوكان مدحاً حاذقاً، إنك تتلقّاه، تتأثر به، تنفعل، تتفاعل و.. تبحر في نفسك...

أنت تقول لنفسك ـ اقصد أنا ومن هم مثلي: هذا شعر يفتح المدى لقول شعري فلسطيني يضيف جديداً للشعر الفلسطيني، بله العربي...

الشعر والخوف لا يلتقيان، فالشعر جناحان للتحليق، فضاءات، حريّة بلا ضفاف، والاحتلال رصاص، حرمان من القراءة، إطفاء للنور، تخويف، محو للعقل والإرادة:

أطفئ النور
لن أطفئ النور
ألا ترعوي؟
إنّ طخّ الرصاص اقترب!
فليكن وليكن!
إنّ بي جرياً للقراءة
مثلما فيكم الآن مقتلةٌ للهرب

مدمن القراءة يرفض إطفاء النور رغم الخطر لأنه يريد أن يقرأ، فما الحياة بدون كتاب؟ وكيف تكون القراءة والكتابة بدون النور؟ والاحتلال عدو القراءة، للمعرفة، ونقيض النور...

قصيدة النبريص قد تتقطّر في سطر واحد، أو بضع سطر:

آخر ما ينام في (الأعمى) يداه
والنوم عند باسم، وهو من شعب (لا ينام)، لا لأنه راغب بالسهر إلى مالا نهاية، ولكن لأن أعداء النوم يحرمونه من أحد حقوقه الطبيعيّة: النوم!

ولأن النبريص شاعر فإن له في (قلّة النوم) أسباباً داخلية خاصّة، قلقاً تسببه القصيدة هذه التي يعبئها في قارورة بحجم الإصبع، أو حتّى سلاميّة الإصبع، أو بحجم (الزفرة)،

تعوي وتجوح
لن تعرف نوماً
لن تعرف هدأة نوم
إلاّ أن تسكت ذئبة هذي الروح

يملّ الشاعر من الكتب، فالحياة ليست كتباً، بالأحرى: ليست كتباً، وآباتشي، وشهداء سرق شبابهم، ودموع أمهات:

أيها الله
أعطني فرسخين من النوم
أعطيك مكتبتي كاملة (أرق ص 114)

أهو أرق الكتابة، أم أرق يسببه كل ما يبدد أيّام حياته، يسرقها منه، يحيلها جحيماً؟ وبماذا تختلف حياة الشاعر عن حياة أهله؟

في قصيدة (أدونيس) التي تنمّ عن احترام وإعجاب بهذا الشاعر الكبير، يرتفع صوت النبريص من قطاع غزّة:

شيبّته الصفاقة في الناس
فاتركوه...
اتركوا الشيخ يحمل أثقاله
وحده...
واتركوه ليصعد رأس الجبل

باسم النبريص شاعر يعيش في منطقة من فلسطين لا جبال فيها، ولكنها صعدت كثيراً، من قبل التاريخ الميلادي وهي تصعد، وهي كجارة حميمة للبحر سافرت كثيراً، وإن كان ناسها الآن محاصرين...

هذا شاعر يوسّع الفضاء حول روحه، يغزل قصائده بمفردات منتقاة ملائمة موحية، يسهر كثيراً كونه انتدب نفسه لحراسة أحزان أهله، ويوصل العيش تماماً كذلك الذي دفع الصخرة كلّما سقطت: سيزيف...

ـ باسم النبريص شاعر فلسطيني ولد في مخيّم (خان يونس) عام 1960، درس في جامعة القاهرة الكمبيوتر وتخرّج عام 83...

من أعماله:

ـ تأملاّت الولد الصعلوك، صدر عام 90 عن اتحاد الكتّاب الفلسطينيين.
ـ قصائد العقل الخالص (لم يحدد سنة صدوره، أو الجهة الناشرة).
ـ الجلوس في عتمة البيت...

وصدرت جميعها في كتاب واحد بعنوان (الأعمال الشعريّة)، عن منشورات المؤسسة الفلسطينيّة للإرشاد القومي، عام 2003.

قص

عن رجل من طيوي

محمود الرحبي*

■ قرية بعيدة، غارقة بين الجبال والسحب، تتناثر أشجارها كالريش فوق السفوح الحادة التي يتسنمها الأطفال لإستقبال آبائهم، المحملين بأكياس تحني ظهورهم وهم يتسلقون الصخور الفاصلة بين شارع الإسفلت والأحواض الجبلية التي تعوم فيها قرى تلك السلسلة الشاهقة.

شاحنات الأجرة القادمة من المدينة، تلقي حمولاتها البشرية على طول ذلك الشارع، فيعبرون متسلقين الصخور، محدقين ولهاث اللهفة والتعب يزفر خشنا من الفتحات المعجونة لوجوههم.

يسكن هو في إحدى تلك القرى، التي لا يوجد فيها سوى دكان واحد، بائعه مصاب بالسل، لذلك يخاف أهل القرية الاقتراب من ألواحه المتآكلة والمرصعة بعلب صدئة وأكياس حالكة بقيت شهورا بعد انتهاء تاريخ استعمالها.

وكان يأتي إلى قريته كل أسبوع، وأبناؤه الأحد عشر، ينتظرون عودته بشوق، يصطفون لاستقباله من دون أحذية، فوق سفح الجبل، وعندما يبرق منحنيا، تتهلل وجوههم، وينطوون أقدامهم الحافية، ويفر بعضهم راكضا دافعا جناحيه إلى البيت لإخبار أمه.

والأم لاتملك سوى فستانين. واحد ترتديه عندما يعود زوجها، والآخر عندما يقفل راجعا إلى المدينة حين يخبو مختفيا بين الصخور.

وكان بيتهم صغيرا، وعندما ينام الأطفال يختلي بزوجته في السطح، ثم يهبطان حاملين غطاءهما، يفتح كل واحد منهما مكانا بين الزحمة وينام.

وكان يأتي لأبنائه بمؤونة الأسبوع كاملة في كيس كبير، ويحض زوجته على التقتير، ثم يودعهم ويخبو بين الجروف الوعرة عائدا إلى المدينة، فيظهر جسده، في انحداره من ذلك السفح، كنقطة كبيرة لاتلبث وأن تتضاءل إلى أن تتبدد في الهباء.

وكان يحمل في رأسه عينا واحدة. كانت تلك العين الوحيدة التي يعمل بها ، مقطعا رقاب الدجاج في سوق السمك بمطرح، والعين الأخرى مطفأة تغوص مدفونة في محجرها الضيق، وحين يقطع تلك الرقاب، يفتح العين المضيئة عن آخرها، فتتلصص تلك المطفأة بيضاء من بين أغطيتها الميتة.

وذات يوم سالت دموع كثيرة من عينه المضيئة، فمسحها بردنه المالح، فازدادت الدموع، وجاره الذي يقطع السمك بجانبه، يرى بتقزز الدموع التي تقطر من عينيه وتزحف من أنفه وهو يمسحها منحنيا وغيمة حزن تلف وجهه الضعيف.

والذين يذهبون إليه ليذبح دجاجاتهم، عندما يرون الخيوط التي تقطر من وجهه يسحبون أجسادهم ساخطين. وتزداد الدموع حين يتذكر زوجته وأبناءه، وفي طرف الأسبوع ذهب إليهم بكيس ضامر، يخرج من جوفه الهواء عندما يضغطه الأطفال، فلم ينم تلك الليلة، ولم يصعدا إلى السطح ، وعند الفجر رجع عائدا إلى المدينة.

وقف أمام بوابة المستشفى الكبير. الذي يظهر كقصر عملاق تحيطه الزهور وتسطع الألوان من جدرانه الفارهة. وعندما دخل إلى جوفه، وجد الكراسي والأرضيات تطفح بالمرضى، ورائحة تحوم في المكان. وكان الطبيب يختفي عن مكتبه ساعات، وعندما يعود يسقط عينا خاطفة على كتل المرضى قبل أن يدخل مكتبه، فتشع وجوههم وتتحفز للنهوض أجساد الذين اقترب دورهم.

انتظر ساعات أمام ذلك المكتب، غافله النعاس وهو ينتظر، ونهش الجوع أمعاءه الخاوية.

أمره الطبيب أن يراجعه بعد أربعة أيام، ولم يعطه سوى ورقة المراجعة. وفي الليل كان يفترش منامه أمام البحر، في جوف عريشة مغطاة بالسعف، تصوت فيها الريح، وينقر الرمل حوافها بلطف، غرفة مشرعة على البحر، يشاركه فيها الصيادون القادمون من قراهم البعيدة.

بعد أربعة أيام، أدخله المرضون غرفة باردة، وأغلقوها عليه، وبعد ساعات دخل الطبيب وأعمل جراحة سريعة لعينه، ثم غطاهما بخرقة بيضاء وانسحب.

سحب المرضون سريره وركنوه بين أسرة كثيرة، فظل مغمض العينين وقلبه يخفق. رأى بوضوح أبناءه رافعين أياديهم الكثيرة فوق السفح، ورأى زوجته ترتدي فستانها المغسول، لم يحتمل نسيانه أياما فوق السرير، تخترقه الأصوات دون أن يراها، فقرب أصابعه جهة الخرقة البيضاء، أزاحها قليلا، أزاح طرفها أولا، وعندما لم ير شيئا أزاحها كلها، فتح فمه وصرخ، جر قدميه وارتطم رأسه بالأسرة وسقط، ثم جر قدميه وارتطم رأسه بحافة الباب وسقط، صرخ في سقطته، صرخ في سقطته ورفع يديه الخشنتين وهتف وهو يهز جسده بقوة:

– قلعوا عيني يالله، قلعوا عيني

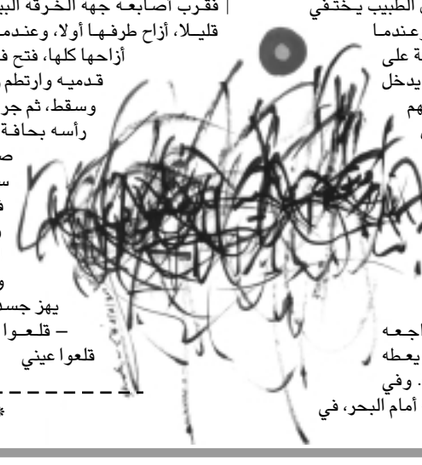

* كاتب من عُمان

بعد استقالة خيري شلبي من رئاسة تحرير مجلة «الشعر» المصرية: هيئة طليعية تنحاز الى الشعر الجديد

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ من محمود قرني:

في اصدار جديد ـ اكثر اناقة ولا شك ـ عاودت مجلة (الشعر) صدورها عن اتحاد الاذاعة والتليفزيون، برئاسة تحرير الكاتب والمترجم احمد هريدي، الذي كان يشرف على تحريرها ايضا قبل اكثر من اثني عشر عاما من الآن.

وكان رئيس تحريرها السابق الروائي خيري شلبي قد قدم استقالته منها قبل عدة اشهر بعد اكثر من عشر سنوات قضاها على رأس المجلة، واستطاع خلالها ـ بجدارة وقوة ـ ان يقضي على علاقة الشعر بالمجلة وأن يفسد ما تبقى من ود بينها وبين شعرائها.

وتحولت المجلة الى نشرة فصلية لا يقرأها أحد وكانت يتم تحريرها عبر الرسائل البريدية القادمة من الاقاليم، بعد ان انقضي عنها معظم الشعراء الجديرين بها والتي كانت جديرة بهم.

واذكرانني كتبت مقالا مطولا بمجلة «القاهرة» في مطالع التسعينيات مع بداية تولي شلبي مسئولية المجلة ولفتة الى المشكلات التي يمكنها ان تذهب بالمجلة الى الجحيم، وبالطبع لم ينتبه الرجل، فهو واثق بشكل غير مفهوم في موت الشعر واندحار شعرائه، لذلك لم تخل مقدمة من مقدماته لاعداد المجلة من سب الشعراء والني منهم واتهامهم بقتل الشعر وتشويهه بسبب الاغماض والخروج الاخلاقي السافر، لدرجة دعت كثيرين للتساؤل عن اسباب استمراره رئيسا لتحرير المجلة في هذا الواقع الذي يجبره على اعلان موت الشعر على رأس كل عدد يصدره.

وقد استطات مجلة لشعر الفصلية ان تعيد ـ في اصدارها الجديد ـ الكثير من الاعتبار للواقع الشعري المصري والعربي، وان كان يرجي لها مزيدا من التجدد والتقدم، ينسحب ذلك على شكلها أيضا بداية من غلافها الرقيق الذي تتوسطه لوحة (مقهى) (لفان جوخ) مرورا بمتنها الذي جاء جذابا وناعما سواء على مستوي التوزيع الموضوعات او على مستوي اخراجها بتقنية ملائمة.

هيئة تحرير المجلة في شكلها الجديد تتكون من احمد هريدي السبعيني الذي بدأ حياته شاعرا ثم تحول الى الكتابة الصحفية والفكرية وكذلك الترجمة، ومدير التحرير هو لشاعر فارس خضر احد شعراء قصيدة النثر من جي الشباب وسكرتير التحرير هو عبدالناصر عيسوي لكنه ترك المجلة قبل صدور العدد وحل محله الشاعر محمود خير الله والمدير الفني الدكتورة لبنى زكريا.

وما تعرفه الساحة الثقافية عن هذه الهيئة يؤكد ان مشروع المجلة سيكون برزخا تتلاقى عنده العديد من الاتجاهات الشعرية التي تجمعها المعايير الاساسية لكتابة، وقطعا سيكون شرط الجودة على رأس هذه الشروط، وذلك لكي تتلافي المجلة الوقوع في براثن الهواة وساعتها سيتساوى المطرح جيردا كان لآم رديئا. فالاتجاهات لي تجمع هيئة لتحرير طليعية في معظمها تنحو الى تعميق الفرصة الاكبر للكتابة الجديدة وكذلك فتح ابواب المجلة للمرأة الاولى لشعر العامية، وتجاوز الافكر القديمة حيال هذا النوع الفني حيث يتم التعامل معه باعتباره نوعا ادنى في سلم الفنون.

يبدأ العدد بابداع وبنص جديد للشاعر حسن طلب بعنون نشيد الحرية لياليه الشعراء محمود نسيم، شادي صلاح الدين، ادل عزت، حسن فتح الباب، محمد سعد بيومي، احمد مرتضى عبده، التجاني بولعوالي، ثم يأتي باب (رؤي) حيث تطالع دراسة نقدية للدكتور يوسف حسن نوفل تحت عنوان (القصيدة العربية المعاصرة الى اين؟) ودراسة اخرى للباحث محمد سعد شحاته بعنوان (سؤال البلاغة في القصيدة الجديدة) ويتناول في دراسته نماذج شعرية لكل من سامي الغباشي وعماد فؤاد، كذلك قدم الشاعر البهاء حسين حوارا مطولا مع الشاعر عبدالمنعم رمضان بدأه بالقول: شعر عبدالمنعم رمضان وشخصه مثيران للجدل. حريص هو على ذلك، حرصه على الاختلاف.

يظهر في المناسبات بحساب، ويكتب وينشر بحساب، حينما رأيته، لأول مرة منذ عام كان كما بدا لي من شعره.. ملغزا بعض الشيء، وقد يراه البعض غير مريح، لكنك، بعد فترة تستطيع ان تفك رموزه الى معادلات اهمها الصراحة والخروج.

وتعود المجلة للابداع مرة اخرى حيث تنشر قصائد لكل من موسي حوامدة وأشرف يوسف وحمد زرزور ونادي حافظ وعلي منصور وعصام ابو زيد وفيفيان صليوا، وأديب كمال الدين وبهية طلب، وأحمد دياب سيد وغادة عبدالمنعم ومها شهاب والسيد رشاد كذلك تقدم المجلة ملفا عن الشاعر السوري محمد الماغوط يقدمه الشاعر محمود خير الله ويتضمن مختارت شعرية لشاعر وهو ملف يجب على المجلة ن تتوسع فيه نظرا لاهميته ولامكانية تقديم صورة بانورامية لأهم الاعمال في حياة الشاعر.

ثم يقدم ايمن شرف ملفا عن (هارولد بنتر) شاعرا ويقدم له داخل الملف حوالي ست قصائد. كما يقدم الدكتور صلاح محاميد ملفا عن الشاعر الايطالية (ميلينا ميلاني) تحت عنوان (لا ترحل الى المد البعيدة، ويقدم عبدالهادي سعدون ملفا عن الاسباني رافائيل ألبرتي، ويقدم الدكتور محسن ارملي ملفا عن الشاعر الاسباني (فرانشيسكو بينو)، كما يقدم الشاعر فتحي عبدالسميع دراسة عنوان (المكن والموروث في ديوان ما على العاشق ملام) ثم يقدم الشاعر محمور مقرني ملفا عن شعراء محافظة قنا تحت عنون (عنفون الشعر وخصوصية لتجربة) ويتضمن الملف عددا من القصائد لتسعة من شعراء قنا، ثم يقدم شاعر العمية خالد حنفي حوارا مع الشاعر سيد حجاب بمناسبة حصوله على جائزة (تفافيس)، ثم تتوالي قصائد شعراء العامية: ماجد يوسف ومحمد بغدادي، والعزب دراسة عن الشاعر احمد رامي تحت عنوان (رق الحبيب.. درما الروح المتوصفة) ويقدم الشاعر مسعور شومان دراسة عن الشاعر الراحل فؤاد قاعود ويقدم على حبش متابعة لفعاليات مهرجان (يون) الشعر في بغداد ويقدم احمد المريخي قراءة لكتاب (اوائل زيارت الدهشة للشاعر محمد عفيفي مطر، ويقدم الباحث حمزة قناوي دراسة عن ديوان مدائح جلط المخ اللشاعر حلمي سالم، هذا بالاضافة الى باب مكتبة الشعر، ورسائل القراء والشعراء الشباب ويختم رئيس التحرير احمد هريدي العدد بالباب الثابت (كلمة الشعر) وذلك بكلمة تحت عنون (القصيدة الرائعة) ويكرسها لشاعر محمد الماغوط حيث يقول: الشاعر محمد الماغوط يتجاسر على رداءة واقعه فيعري ويكشف في طفولة محبوبة ووعي يقظ وتلقائية مدهشة محتفظا ببراءة روحه. والشاعر عند محمد الماغوط هو الذي ينحاز للضعف الانساني والحزن البشري، ويلتزم بالقضايا الخاسرة، ويتعمل مع الواقع بصدق وبدون قفازات واقية، وهو دائما مع الخريف وليس مع الربيع مع حبيبات الرمل وليس مع الصخور).

غلاف المجلة

يبقي القول ان الحراك الذي احدثته مجلة الشعر بصدارها الجديد لن يصل ذراه في الوقت الذي تقع فيه نصوص ليست قليلة بالعدد تحت طائلة الضعف والركاكة واعادة الانتاج، وكذلك بما يبدو وانه قسمة للمجة بين شطري العامية والفصحي فها نسيج يجب ان يتضافر لا يتنافر، وكذلك لابد من التوسع في ملفات الشعر المترجم وتكريس ملف للشعر العربي، لذلك لابد من زيادة عدد صفحات المجلة البالغة 114 صفحة من القطع المتوسط لا سيما وأنها مجل فصيلة، فقاريء المجلة ينتظر وجبة دسمة يعلم انها تأتيه كل ثلاثة اشهر.